تقرير

خليل حرب
Khalilharb66@gmail.com

ترامب يتابع ونتنياهو قد يتملّص
هدنة غزة: نهاية أم بداية؟

مهما كانت مآلات وقف اطلاق النار لـ"حرب غزة"، والتي بدأ تنفيذ مراحله المتعددة والمعقدة، فان هذه الحرب سيظل ينظر اليها على انها من اكثر الحروب وحشية وتدميرا، وان مآسيها الهائلة كان يمكن وقفها، او الحد منها، لكن "واشنطن بايدن" سمحت لـ"اسرائيل نتنياهو" بالمضي قدما فيها طوال 15 شهرا

بلغ عنف هذه الحرب حدا دفع بمنظمات وقانونيين، بعد شهور من التردد والمداولات، الى وصفها بانها "ابادة جماعية" شهدت ارتكاب "جرائم حرب" بما في ذلك استخدام الغذاء كسلاح لتجويع المدنيين وتعطيشهم، واللجوء الى اسلحة وذخائر تستخدم في جبهات القتال بين الجيوش، لتدمير مناطق واسعة من المناطق المدنية، بما في ذلك قتل واحراق النازحين في مخيماتهم التي يفترض انه حددت كـ"مناطق آمنة"، لكن القوات الاسرائيلية حولتها الى مجرد مواقع لتجميع المدنيين، وابادتهم.

لعل الارقام تتحدث عن نفسها. فبحسب التقديرات، فان اسرائيل القت خلال 471 يوما، اكثر من 100 الف طن من المتفجرات على غزة، مما تسبب في مقتل وفقدان اكثر من 60 الف شخص، وتدمير 88% من بناها التحتية، بما في ذلك اكثر من 300 الف وحدة سكنية.

في 19 كانون الثاني 2025، بدأ سريان الهدنة بعد مفاوضات شاقة استمرت اشهرا، بعدما مرت مراحل التفاوض بين حركة حماس والاحتلال الإسرائيلي بمحطات رئيسية، في الدوحة، القاهرة، روما، باريس، عرضت خلالها 4 مقترحات رئيسية للتوصل لاتفاق، قوبلت دائما بتعنت وافشال من حكومة نتنياهو وفريقه المفاوض، واحيانا كثيرة في اللحظات الاخيرة.

يخشى المراقبون من ان اضطرار نتنياهو الى القبول بوقف اطلاق النار بضغط من واشنطن، واستمرار الخسائر في صفوف جنوده في غزة، وتعرضه فورا الى انتقادات في الداخل الاسرائيلي، من شخصيات معارضة واخرى تنتمي الى التيار اليميني المتشدد، قد تتيح لرئيس الحكومة التملص من الهدنة لاحقا، او ايجاد الذرائع لكسرها، خصوصا ان بعض وزراء حكومته قالوا انهم تلقوا تعهدات منه، باستئناف القتال ضد المقاومة الفلسطينية، ما ان يتم الافراج عن الاسرى الاسرائيليين.

اقتصاد اسرائيل

اشارت وزارة المال الإسرائيلية الى انها تكبدت ما يصل الى 34 مليار دولار بسبب الحرب، وان العجز في الميزانية 5.2 مليارات دولار. لكن هذه تكاليف مباشرة، ولا تحسب التداعيات الاضافية التي بحسب صحيفة "كالكاليست" الاقتصادية، فانها بلغت بالاجمال 67 مليار دولار.

وكانت محاولات التفاوض اثمرت هدنة إنسانية وحيدة منذ 7 تشرين الاول 2023 بوساطة مصرية قطرية اميركية، لمدة 4 ايام، بدءا من 24 تشرين الثاني، تم تمديدها في اليوم الاخير لمدة يومين، ومرة ثانية لمدة يوم، لتنتهي في 1 كانون الاول 2023.

تعتبر الخطوط العريضة للهدنة القائمة حاليا هي ذاتها المندرجة ضمن الورقة التي قدمها الرئيس الاميركي السابق جو بايدن في الثاني من تموز الماضي، حيث وافقت حماس عليها، الا ان اسرائيل تراجعت في الساعات الاخيرة مطالبة ببنود اضافية، في وقت شددت حماس في كل محطات التفاوض اللاحقة على ضرورة الالتزام بورقة تموز التي طرحها بايدن.

جاء سريان الهدنة قبل يوم واحد من مراسم تنصيب ترامب الذي كان طالب قبلها بحسب مسؤولين اميركيين واسرائيليين، بالتوصل الى اتفاق قبل دخوله البيت الابيض، وقال في تصريح له ايضا ان على نتنياهو ان يقوم بما يتحتم عليه القيام به، ممارسا الضغوط في الايام الاخيرة قبل الاتفاق، لدفع اسرائيل نحو التسوية.

لهذا، فانه وسط اجواء التبادل وتنفيذ الاتفاق كانت ادارتا بايدن وترامب تسارعان لاقتناص النصر، اذ سارع بايدن للخروج واعلان رعايته المباشرة للاتفاق، في محاولة للاستحواذ على الفضل، في حين كان لترامب رأي آخر بتأكيده مرارا على ان الفضل يعود له ولادارته بتحقيق اتفاق وقف إطلاق النار بعد عشرات الجولات الفاشلة، ولهذا فانه اوفد مبعوثه الخاص الى الشرق الاوسط ستيفن ويتكوف الى المنطقة لتحريك التفاوض دفعه قدما.

وقد اشادت صحيفة "هارتس" ومجلة "نيوزويك" بالدور المحوري الذي لعبه ويتكوف في ابرام الاتفاق بين اسرائيل وحماس.

رغم ان ترامب لم يكن قد تسلم مهام منصبه حينها، فان "نيوزويك" قالت انه عمل بنشاط لارساء الاساس لادارته الجديدة قبل ان يؤدي اليمين الدستورية في 20 كانون الثاني، بما في ذلك ايفاده ويتكوف الى الدوحة للانضمام الى فريق

ادارة بايدن في دفع المفاوضات. ومع دخول الاتفاق حيز التطبيق، كتب ترامب على موقع التواصل الاجتماعي "تروث سوشيال"، قائلا "سيواصل فريقي للامن القومي، من خلال جهود المبعوث الخاص ويتكوف، العمل عن كثب مع اسرائيل وحلفائنا للتاكد من ان غزة لن تصبح مرة اخرى ملاذا آمنا للارهابيين".

ونقل عن مسؤولين عربيين قولهما ان المبعوث ويتكوف "فعل في اجتماعه الوحيد مع رئيس الوزراء نتنياهو لدفع اسرائيل نحو التوصل الى اتفاق اكثر مما فعله بايدن طوال العام"، بينما قالت "هارتس" ان ويتكوف اجبر نتنياهو على قبول خطة وقف الحرب التي كان يرفضها مرارا وتكرارا. ولفتت الى ان ويتكوف اتصل من قطر ليخبر مساعدي نتنياهو انه سيأتي الى اسرائيل بعد ظهر السبت، متجاهلا انه يوم عطلة اليهود الاسبوعية، وبانه لا يعنيه يوم السبت متحدثا بلغة حازمة وواضحة، مجبرا نتنياهو على استقباله في مكتب رئيس الوزراء بشكل رسمي، ثم عاد الى قطر لمتابعة اتمام الصفقة.

يتضمن الاتفاق الحالي 3 مراحل تستمر كل منها 42 يوما، ولكن اسرائيل تحاول قصرها على مرحلتين في مفاوضات المرحلة الثانية من الاتفاق. وتسمى المرحلة الاولى من الاتفاق "المرحلة الانسانية"، حيث يطلق خلالها سراح 33 اسيرا اسرائيليا، من الاحياء والاموات، على ان ينسحب الجيش الاسرائيلي من معظم المناطق الخاضعة لسيطرته في غزة. وحسب الاتفاق، فانه يطلق اول دفعة من الاسرى الإسرائيليين ضمن المرحلة الاولى في اليوم السابع من وقف اطلاق النار. كذلك سيفرج مقابل كل مجندة اسرائيلية عن 50 معتقلا فلسطينيا، منهم 30 محكوما بالسجن المؤبد، و20 محكوما بالسجن لفترات طويلة. ومقابل كل اسرائيلي امرأة او مسن، سيطلق 30 معتقلا فلسطينيا من فئات مختلفة، بما في ذلك القاصرون والمرضى والنساء.

كما ينص الاتفاق ايضا على انه في المرحلة ◄

◄ الثانية التي تبدأ في اليوم 16 من بدء الاتفاق، ستركز على مناقشات حول صفقة شاملة لجميع الاسرى في غزة واطلاق سراح من تبقى من الشباب والجنود. كما يتعين التوصل الى اتفاقات حول المرحلة الثانية قبل نهاية الاسبوع الخامس من المرحلة الاولى من الاتفاق. اما المرحلة الثالثة والاخيرة، فتتضمن الترتيبات الطويلة الامد كما تشمل خطط اعادة اعمار غزة.

كذلك يتضمن الاتفاق منذ اليوم الاول من الاتفاق دخول وقف اطلاق النار في غزة حيز التنفيذ وانسحاب الجيش الاسرائيلي الى خارج المناطق السكنية الفلسطينية في محاذاة الحدود، وتوقف نشاط المسيرات لمدة 10 ساعات يوميا و12 ساعة في ايام تبادل الاسرى. يتضمن الانسحاب التدريجي من قطاع غزة، الانسحاب من محور نتساريم الذي يفصل شمال غزة عن باقي انحاء القطاع، والانسحاب كذلك من محور فيلادلفيا على الحدود بين قطاع غزة ومصر.

شركة اميركية لتوزيع المساعدات

ذكرت صحيفة "اسرائيل هيوم" ان الجيش الاسرائيلي يبحث امكان استخدام شركة اميركية امنية لتوزيع المساعدات الانسانية في قطاع غزة، حتى لا تصل الى ايدي حركة حماس. ولفتت الى ان الجيش سيمنح الشركة الاميركية الغطاء الامني فقط، لكن هناك مخاوف من تورط الشركة بالحاق اذى بالمدنيين في غزة، مما سيجعل الجيش يتحمل المسؤولية امام المجتمع الدولي عن اي انتهاكات، كما ان هناك نقاشا عما اذا كان على اسرائيل تمويل الشركة مما سيجعلها مثابة "ذراع" اسرائيلية داخل غزة، في وقت من غير المرجح ان تقبل حماس والفصائل الفلسطينية الاخرى في غزة، بترتيبات كهذه.

في المرحلة الثانية من الاتفاق، سيتم الاعلان عن عودة الهدوء المستدام، وذلك يعني الوقف الدائم للعمليات العسكرية وانسحاب القوات الاسرائيلية بالكامل الى خارج قطاع غزة، وفتح المعابر والسماح بحركة الاشخاص والبضائع.

ومعلوم ان اسرائيل ترفض اطلاق سراح عدد من الاسرى المحكومين بالسجن المؤبد الى الضفة الغربية المحتلة، علما انه في صفقة العام 2011 جرى اطلاق عدد من المحكومين بالسجن المؤبد الى قطاع غزة والخارج. وقد شملت المرحلة الاولى الاسرى الذين شملهم اتفاق التبادل العام 2011 واعادت اسرائيل اعتقالهم لاحقا وعددهم 47 فلسطينيا. بموجب الاتفاق، لن يعتقل الاسرى الفلسطينيون الذين سيطلق سراحهم مرة اخرى بالتهم نفسها التي اعتقلوا بسببها سابقا. يشمل الاتفاق جميع الاسرى الإسرائيليين الـ98، لكن المرحلة الاولى من الاتفاق تضمنت 33 اسيرا ممن يعرفون بأنهم حالات انسانية تشمل نساء ومن هم دون 19 عاما وكبار السن فوق 50 عاما والمدنيين الجرحى والمرضى من غير الجنود.

من المتوقع ان تتضمن المرحلة الثالثة اعادة جميع الجثامين المتبقية وبدء اعادة اعمار غزة في اشراف مصر وقطر والامم المتحدة.

تحتجز اسرائيل في سجونها اكثر من 10 الاف و300 فلسطيني، بينما تقدر وجود 98 محتجزا اسرائيليا في غزة، في حين اعلنت حماس مقتل عشرات الاسرى لديها في غارات اسرائيلية.

وبحسب قيادي في حماس، فانه بعد الاسبوع الاول من الاتفاق تنسحب القوات الاسرائيلية من شارع الرشيد في غرب قطاع غزة، وسيتمكن النازحون من العودة الى شمال القطاع مشيا على الاقدام من دون قيد او تفتيش، وسيكون هناك مسح الكتروني للسيارات العائدة الى شمال القطاع بتنظيم فلسطيني واشراف قطري. اما بالنسبة الى معبر رفح، الذي يربط قطاع غزة بمصر، فانه عاد الى العمل في اليوم السابع من الاتفاق بتنظيم فلسطيني

جرائم في غزة

تم مسح 2092 عائلة فلسطينية بالكامل من السجل المدني، وهي تتضمن 5967 شهيدا بحسب وزارة الصحة الفلسطينية. وهناك 17,861 شهيدا من الاطفال، بينهم 214 طفلا رضيعا ولدوا واستشهدوا خلال الحرب، وايضا هناك 44 طفلا استشهدوا بسبب سوء التغذية ونقص الطعام وسياسة التجويع.

وبالاضافة الى ذلك، هناك 1155 شهيدا من الطواقم الطبية، و94 شهيدا من الدفاع المدني، و205 شهداء من الصحافيين الى جانب جرحى الصحافيين الذين بلغ عددهم 400. في الاجمال، فان 70% من الضحايا هم من الاطفال والنساء، علما ان 38495 طفلا صاروا بلا والدين او من دون احدهما.

واشراف اوروبي، وذلك لخروج الجرحى ودخول المساعدات.

وبينما احتفت حماس بالتوصل الى اتفاق وقف اطلاق النار، قائلة ان "العالم كله يجب ان يقف اجلالا للصمود الاسطوري لأهلنا في غزة وتقديرا لصبرهم وتضحياتهم على مدار 471 يوما امام آلة الارهاب والقتل الصهيونية"، فان ادارة بايدن ظلت حتى نهاية ولاية الرئيس الديموقراطي، تؤكد على دعمها لاسرائيل، حيث ابلغت الكونغرس بصفقة جديدة لبيع اسلحة لها بقيمة 8 مليارات دولار تشمل ذخائر للمقاتلات الجوية والمروحيات الهجومية وقذائف مدفعية، وهو ما يعكس لامبالاة ادارة بايدن بالخراب والموت اللذين سادا خلال الشهور الـ 15 الماضية، وتؤكد ما قاله نتنياهو بعد التوصل الى وقف لاطلاق النار مع لبنان، بأن الاميركيين وعدوه باستئناف صادرات الاسلحة الى جيشه، اذا وافق على هذه الهدنة. في كل الاحوال فان حماس تعتبر انها كانت حريصة "على تحقيق شروط المقاومة في كل جولة" من التفاوض، وان نتنياهو "خضع لشروط المقاومة بعد صمودها"، وان الضغوط التي تعرض لها نتنياهو داخل المجتمع الإسرائيلي "كانت من عوامل خضوعه لشروط المقاومة".

ولا بد من التذكير بأن نتنياهو وضع 3 اهداف للحرب، هي القضاء على حماس؛ استعادة الرهائن؛ وضمان ان غزة لن تشكل تهديدا لاسرائيل مجددا. الا ان خروج مقاتلي حماس مدججين بالسلاح للاحتفال في اليوم الاول من وقف اطلاق النار، واشرافهم المنظم على اطلاق الدفعة الاولى من الاسرى الاسرائيليين، وامام عدسات كاميرات الاعلام، اصاب الاسرائيليين، قيادة ومستوطنين واعلاما بالصدمة. وانهمرت التعليقات والتحليلات، وايضا انتقادات شخصيات المعارضة، لهذا المشهد ومعانيه التي ابرزها ان حرب التدمير التي تواصلت بلا هوداة طوال 15 شهرا، لم تحطم حماس وقدراتها القتالية.

كان من الواضح ان في الايام الاخيرة التي سبقت موافقة نتنياهو على وقف اطلاق النار، كان مسلحو المقاومة ينزلون خسائر يومية موجعة بالجنود الاسرائيليين وضباطهم، وخصوصا في جباليا وبيت حانون ورفح، الى درجة ان الاصوات تعالت في اسرائيل قائلة "ماذا يفعل جنودنا هناك؟".